﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: 124 - 125]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُما:

بيان موعود الله تعالى لعباده المؤمنين بالإعانة والمدد بعد حثِّهم على التَّقوى والشُّكر

لَمَّا اشتملت هذه القصَّة على المصيبة التي سيقصُّ الله كثيرًا منها؛ كان أنسب من قصِّها وبيان ما اتَّفق لها - لوعْظ من يأتي - البداءة بتذكير من باشرها بما وعدهم الله به على لسان نبيِّه ﷺ قبل وقوع القتال، فقال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[1]، فذكَّرهم سبحانه بما كان يوجِّهه إليهم النَّبيُّ ﷺ من توجيهات سامية، وإرشادات نافعة، وبشاراتٍ متتابعة[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿يَكْفِيَكُمْ﴾: الكفاية مِقْدَارُ سدِّ الخَلَّة، والقيام بالأمر وبلوغ المراد منه، يُقال: كفاك الشَّيءُ يَكفِيك، وقد كَفَى كِفاية؛ إذا قام بالأمر، وأصل (كفى): يدُلُّ على الحَسْب الَّذي لا مُستَزَادَ فيه[3].

2) ﴿يُمِدَّكُمْ﴾: الإمداد: إعطاءُ الشَّيء حالًا بعد حال، يقال: مَدَدْتُ الشَّيْءَ أَمُدُّهُ مَدًّا، أَيْ: زَادَ فِيهِ، وَوَاصَلَهُ، وكلُّ ما كان منه بطريق التَّقوية والإعانة، يقال فيه: أمَدَّه، وأصل (مدَّ): جرُّ شَيْءٍ في طُولٍ، وَاتِّصَال شَيْءٍ بِشَيْءٍ فِي اسْتِطَالَةٍ، فما كان بطريق الزِّيادة؛

(1) البِقاعيُّ، نَظْمُ الدُّرَرِ: 5/55 - 56.
(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 2/248.
(3) الرّاغب، المفردات، والسمين، عمدة الحفاظ: (كفي)،

يُقال فيه: مدَّه مدًّا، والإمداد: إعانة الجيش بالجيش، والمعنى هنا: يساعدكم، ويعينكم، ويقوِّيكم ﴿رَبُّكُم﴾ على عدوِّكم[1].

3) ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾، أي: مِن وجْهِهم أو مِن ساعتِهم، أو مِن غضَبهم وهيجانهم وشدَّة تحرُّكهم، يُقال: فار فائرُه؛ إذا غضِب، والفور عكسه التَّراخي، وهو بمعنى: سرعة الإتيان، وأصْل الفَوْر: الغليان وابتداءُ الأمْر قبل سكونه، فيُؤْخَذ فيه، ويُوصَل بآخَرَ، يُقال: فَعلَه مِن فَوْره، أي: في بَدْءِ أمْره، قبل أن يَسكُن، والمعنى هنا، أي: من وقتهم وساعتهم[2].

4) ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، أي: مُعلِّمين لأنفسِهم أو لخيولِهم بعَلامةِ الحَرب، مأخوذٌ من التَّسويم الَّذي هو إظهار سيما الشَّيء، وهي علامته الَّتي تُعلِّم الفارسَ نفْسَه[3].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

اذكر - أيُّها النَّبيُّ ﷺ - حين قلتَ للمؤمنين مثبِّتًا لهم في معركة بدر بعدما سمعوا بمَدَدٍ يأتي للمشركين: ألن يكفيكم أن يعينكم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين منه سبحانه لتقويتكم في قتالكم؟ بلى، يكفيكم ذلك الإمداد، ولكم بشارة بعون آخر من الله؛ إن صبرتم على القتال، واتَّقيتم الله، وجاء المدد إلى أعدائكم من ساعتهم مسرعين إليكم، يظنُّون أنَّهم يستأصلونكم، فإنَّ ربَّكم سيعينكم بخمسة آلاف من الملائكة معلِّمين أنفسهم وخيولهم بعلامة ظاهرة[4].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ والبَلاغِيُّ:

سِرُّ مجي الظَّرف المتعلِّق بأوَّل الآية السَّابقة ﴿نَصَرَكُمُ﴾ بعد الأمر بالتَّقوى ﴿فَٱتَّقُواْ﴾:

إظهار كمال العناية بشأن التَّقوى في كونها سببًا للنَّصر

(إذ): ظرف بمعنى: حين، والعامل فيه فعل مُضمَر، أي: اذكر حين تقول، ويجوز أيضًا أن تكون بدلًا من قوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ﴾[5]،

(1) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: (مد).
(2) المصطفوي، التحقيق في كلمات القرآن: 9/155، والسجستاني، غريب القرآن، ص: 359، وابن فارس، مقاييس اللغة: (فور).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة، والراغب، المفردات: (سوم)، وابن الجوزي، تذكرة الأريب، ص: 50.
(4) لجنة من علماء الأزهر، المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص: 91، ونخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 66.
(5) السّمين، الدّرّ المصون: 3/384.

والعامل في ﴿إِذْ﴾ هو الفعل ﴿نَصَرَكُمُ﴾ وعلى ذلك فالمقالة المحكيَّة عن النَّبيِّ - ﷺ - وماتلاها كانت في غزوة بدر، وهذا هو الَّذي عليه جمهور المفسِّرين[1]، ومع أنَّ (إِذْ) ظرفٌ لـ(نَصَرَكُمْ) إلا أنَّه قُدِّم عليه الأمر بالتَّقوى؛ لإظهارِ كمالِ العِنايةِ به[2].

سِرُّ تنويع الخطاب من خطاب الجمع إلى مُخاطبة المفرد:

تخصيصُ النَّبيِّ ﷺ بـلـذيـذ الخطاب تشريفًا وتكريمًا

ضمير المخاطب في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ﴾ موجَّه مباشرة إلى شخص الرَّسول الكريم ﷺ بتَخصيصِه ﷺ؛ تشريفًا وإيذانًا بأنَّ وقوعَ النَّصرِ كان ببِشارتِه عليه السلام، بذلك المدد من الله ﷻ، فكان هذا تلوينًا للخطاب ونقلًا له من أسلوب خطاب المؤمنين الَّذي انتهت به الآية المتقدِّمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إلى أسلوب خطاب الرَّسول وحده على سبيل التَّخصيص والتَّشريف الَّذي هو عين التَّكريم من الكريم جَلّ عزُّه وثناؤه[3].

بلاغة العُدول عن التَّعبير بِفِعْلٍ مَضى وانقَضَى إلى فِعْلٍ مُضارع:

استحضار صورة الحال الماضية في هيئة المشاهدة الحاضرة

إنَّ هَذِهِ الَّتي وقعت أحداثها، ومضى زمانها، قد حُكِيت بالفعل المضارع، وصُرِف النَّظر عن التَّعبير عنها بالفعل الماضي، مع أنَّه هو المناسب في الظَّاهر لكون الحدث قد مضى؛ يُفَسِّرُ لنَا مَشْهَدُهَا أَنَّ طبيعة الفعل المضارع هي الَّتي تفي بغرض النَّظم، وتأتي عليه، والمرادُ به الوقتُ الممتدُّ الَّذي وقع فيه ما ذكر بعده، وما طُوِيَ ذكرُه تعويلًا على شهادة الحالِ ممَّا يتعلَّق به وجودُ النَّصرِ فصيغةُ المضارع ﴿تَقُولُ﴾ جاءت لحكايةِ الحالِ الماضيةِ لاستحضار صورتِها، أي: نصركم وقت قولك (للمؤمنين) حين أَظْهَروا العَجْزَ عن المقاتَلة[4]، ولهذا أوثر المضارع دون غيره.

(1) وهو اختيار ابن جرير وابن كثير وأَبي حَيّانَ وأَبي السُّعودِ، وغيرهم

(2) أَبو السُّعودِ، إِرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/79 - 80.

(3) أَبو السُّعودِ، إِرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/79، والخنين، النظم القرآني: 104.

(4) أَبو السُّعودِ، إِرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/80.

نكتة تخصيص وقت البشارة بالإمداد بالذِّكر في مقام الامتنان:

كونه وقت ظهور المعجزة وتمام النِّعمة

وَخُصَّ هَذَا الْوَقْتُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ وَقْتَ ظُهُورِ هَذِهِ الْمُعْجِزَةِ، وَهَذِهِ النِّعْمَةِ، فَكَانَ جَدِيرًا بِالتَّذْكِيرِ وَالِامْتِنَانِ[1].

دلالة الألف واللَّام في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المخاطبين بهذا الوصف الجليل:

مدح لتلك الثُّلَّة المؤمنة الصَّابرة وثناءٌ عليهم بوصف الإيمان المُوجِبِ لرضا الرَّحمن

الألف واللَّام في ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾: قُصِد بهما التَّعريف الحضوريُّ؛ فالمؤمنون الَّذين وجِّه إِلَيْهِمْ ذلك القول؛ هم الَّذين حضروا غزوة بدر، وليس كلَّ المؤمنين زمنَ النَّبيِّ ﷺ فإنَّ منهم من كان في المدينة من الرِّجال والنِّساء، لم يخرجوا لملاقاة العير مع النَّبيِّ ﷺ لكونهم لم يستنفروا، أو لكون الخروج لم يقصد به القتال في البداية، ولكنَّه آل إليه في النِّهاية[2]، وفي هذا الوصف مدح وثناء لتلك الطليعة من طلائع الصَّادقين الَّذين غرسوا بإيمانهم وصبرهم وثباتهم نواة الجهاد والفداء لهذا الدِّين، وأحاطوا بيضة الإسلام بسور منيع وحصن حصين في تلك الغزوة المباركة العظيمة، فكانت فاتحة غزوات أهل الإسلام.

دلالة دخول همزة الاستفهام على أداة النَّفي:

تشريف المؤمنين بإثبات كفايتهم بهذا العدد وتقريرها والإشعار بحالهم يوم المعركة

الغرض البلاغي من دخول الهمزة في الجملة وإيقاعها على حرف النَّفي (لن): هو إنكار عدم كفاية الإمداد بذلك العدد من الملائكة المذكور في الآية، والكفاية تكون بسدِّ الخَلَّةِ وبلوغ المراد في الأمر، وإيقاع الكفاية على المؤمنين - مع مخاطبتهم بذلك في معرض الإنكار - فيه تشريف ظاهر للمؤمنين، حيث كفُّوا شَرَّ الأعداء، والَّذي كفاهم هو ربُّهم سبحانه وتعالى، وورود أداة النَّفي (لن) الَّتي تفيد توكيد النَّفي، وتسليطها على فعل الكفاية؛ للإشعارِ بأنَّهم كانوا يوم بدر لضعفهم وقلّتِهم وقوَّةِ العدوِّ وكثرتهم[3]، كالآيسين من كفايةِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/72.
(2) الخنين، النظم القرآني: 104.
(3) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/80.

هذا المدد من الملائكة، فأَوقَع الاستفهامَ التَّقريريَّ على ذلك؛ ليكون تَلْقِينًا لمَن يُخالِج نَفْسه اليأسُ من كفاية ذلك العدد من الملائكة، بأنْ يُصرِّح بما في نفْسه، والمقصود من ذلك لازمُه، وهذا إثباتُ أنَّ ذلك العدد كافٍ[1].

دلالة إضافة الإمداد إلى عنوان الرُّبوبيَّة:

تشريف المؤمنين بحُسن النَّظر لهم واللُّطف بهم

وإسناد الإمداد إلى الرَّبِّ تبارك وتعالى من باب إسناد الفضل إلى صاحبه، والتَّعرُّض لعنوان الرُّبوبيَّة فيه إشارة إلى أنَّ هذا المدد رأفة بكم وإصلاح لشأنكم، ولهذا جاء إضافة الرَّبِّ إلى ضمير المؤمنين على سبيل مخاطبتهم بلغة الرَّحمة، ففي هذه الإضافة إظهار لمزيد العناية بهم، وإفصاح عن علَّة إمدادهم، وهي كونه ربًّا لهم، يرحمهم وقت ضعفهم، فيزيد من قوَّتهم بمدده وجنده، وهذه نهاية التَّشريف، وغاية الكرامة في الحياة الدُّنيا، وفي الآخرة؛ ففيه إشعارٌ بحُسْنِ النَّظر لهم، واللُّطف بهم[2].

سِرُّ التَّكثير بِذِكْرِ العدد مع جمع لفظة الملائكة:

تسكين قلوب المؤمنين وطمأنتهم وتبشيرهم بالنَّصر

إِنَّما كَانَتِ الْفَائِدَةُ فِي كَثْرَةِ الْمَلَائِكَةِ؛ لِتَسْكِينِ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِأَنَّ اللَّه تَعَالَى جَعَلَ أُولَئِكَ الْمَلَائِكَةَ مُجَاهِدِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكُلُّ عَسْكَرٍ صَبَرَ وَاحْتَسَبَ؛ تَأْتِيهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَيُقَاتِلُونَ مَعَهُمْ[3].

كما أنَّ إيراد اسم العلم ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ بصيغة الجمع في سياق خطاب المؤمنين، ومساءلتهم على لسان نبيِّهم قبيل بداية غزوة بدر الكبرى، والغرض من ذلك كلِّه: هو طمأنة قلوب المؤمنين، وتبشيرهم بنصر الله؛ لأنَّ المدد حاصل من ربِّهم، ونوع هذا المدد هم الملائكة، وهم من هم غلظة وشدَّة على أعداء الله؛ ولذلك فلا

(1) الرّازي، مفاتيح الغيب: 8/353، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/73.
(2) أبو حَيّانَ، البَحرُ المُحيطُ: 3/334، والخنين، النظم القرآني: 105.
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 4/194.

جرم بأن يذهب عن أصحاب النَّبيِّ ﷺ الرَّوع، وتسكن نفوسهم إلى ربِّهم، وتتعلَّق قلوبهم به، وتأتمر بأمر نبيِّه[1].

نُكتة وَصْفِ الملائكة بالتَّنزُّل:

إلـقـاء المـهـابـة على مَكانة المَدَدِ المـلائِـكيّ وكـثرة عدده

ولفظة ﴿مُنزَلِينَ﴾ وصف لثلاثة آلاف، أو هي حال من الملائكة، وعلى كلا الاحتمالين؛ فإنَّ فائدتها ظاهرة، وهي إلقاء المهابة على هذا المدد بكونه غير عاديٍّ ولامألوف، بل هو مدد له مكانته وقيمته، مما يجعل الممدودين به في ثقة وأمان من أيِّ عدوٍّ كان؛ للدَّلالة على أنهم يَنزِلون إلى الأرض في مَوقِع القتال عِنايةً بالمسلمين[2]، وقرئ ﴿مُنَزَّلِينَ﴾ بتشديد الزاي[3]، وعلى هذه القراءة يكون المعنى: إفادة كثرتهم، أو التَّدرُّج في نزولهم[4].

نكتة الجواب بـ ﴿بَلَىٰٓ﴾ بعد الاستفهام التَّقريريِّ:

إبـطـال الـنَّـفي وإثـبـات كـون العدد كافيًا

فلأجل كون الاستفهام السَّابق تقريريًّا غير حقيقيٍّ كان جوابه بـ ﴿بَلَىٰٓ﴾ إِبْطَالًا لِلنَّفْيِ، وَإِثْبَاتًا لِكَوْنِ ذَلِكَ الْعَدَدِ كَافِيًا، وَهُوَ مِنْ تَمَامِ مَقَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلْمُؤْمِنِينَ[5].

فقوله تعالى: ﴿بَلَىٰٓ﴾ إيجاب لما بعد ﴿أَلَن﴾ بمعنى: بلى يكفيكم الإمداد بهم، فأوجب الكفاية[6] من حيث كان الأمر بيِّنًا في نفسه بأنَّ الملائكة كافية، فبادر المتكلِّم إلى الجواب؛ ليبني ما يستأنف من قوله عليه، فقال: ﴿بَلَىٰٓ﴾ ، وهي جواب المقرِّرين، وهذا يحسن في الأمور البيِّنَة الَّتي لا محيد في جوابها، ونحوه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ﴾[7] [الأنعام: 19].

(1) الخنين، النظم القرآني: 104.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/74.
(3) قَرَأَ ابْنُ عَامِرٍ بِتَشْدِيدِ الزَّايِ، وقَرَأَ الْبَاقُونَ بِتَخْفِيفِهَا، ينظر: ابن الجزري، النَّشر: 2/242.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 2/37، وأبو السُّعود، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/80، والخنين، النظم القرآني، ص: 104.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/73.
(6) الزَّمَخْشَرِيُّ، الكَشَّاف: 1/411.
(7) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/503.

سِرُّ مُخاطبة المؤمنين بصيغة المضارعة:

التَّنويه بالتَّحلِّي بـــالأوصـــاف الجالبة للنَّصر والمدد

فمخاطبة المؤمنين عبر ضمائر الخطاب من خلال صيغة الفعل المضارع، فكأنَّما قيل لهم: إنَّ تحلِّيكم بالصَّبر والتَّقوى ومفاجأة العدوِّ لكم، وأنتم على هذه الحالة، لايضرُّكم، فإنَّ مدد ربِّكم لكم يستتبع هذه الأحوال[1].

فقد رَتَّبَ تَعَالَى عَلَى مَجْمُوعِ: الصَّبْرِ وَالتَّقْوَى وَإِتْيَانِ الْعَدَدِ مِنْ فَوْرِهِمْ إِمْدَادَهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بِأَكْثَرَ مِنَ الْعَدَدِ السَّابِقِ، وَعَلَّقَهُ عَلَى وُجُودِهَا، بِحَيْثُ لَا يَتَأَخَّرُ نُزُولُ الْمَلَائِكَةِ عَنْ تَحَلِّيهِمْ بِثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ[2].

دلالة الفور وإضافته إلى كفَّار قريش:

تـصـويـر شـدَّة ارتـبـاط الـفـور واختصاصه بهم وتـأكـيـد سرعة إتيانهم

الفَوْر: العجَلةُ والسُّرعة، ومنه: (فارَت القِدْر) اشتدَّ غَلَيانها، وسارع ما فيها إلى الخروج، يقال: فارَ يفُور فَوْرًا، ويُعَبَّر به عن الغضب والحِدَّة؛ لأنَّ الغَضْبانَ يسارع إلى البطش بمَنْ يغضب عليه، فالفور في الأصل مصدرٌ، ثم يُعَبَّر به عن الحالة الَّتي لا رَيْثَ فيها ولا تعريج عن شيء سواها[3]، وهذا المعنى اللُّغويُّ له ارتباط شديد بالمعنى القرآنيِّ المعبَّر عنه، فإنَّ مَنْ بقي من قريش في مكَّة قد عزموا على حزم أمرهم، والخروج من فورهم نصرة لقومهم في بدر بقيادة: كرز بن جابر المحاربيِّ، فشقَّ ذلك على المسلمين؛ لأنَّ هذا مدد للعدوِّ، وزيادة قوَّة إلى قوَّتهم، والمسلمون قلَّة في عددهم وعدَّتهم، فجاء وعد ربِّهم جلَّ وعلا غوثًا لهم، وشدًّا لمآزرهم في ساعة هم أحوج ما يكونون لذلك، فلفظ فَوْرِهِمْ فيه تأكيدٌ لسرعةِ إتيانِهم وإمدادِهم[4]، وإضافة الفور إلى ضمير الغيبة العائد على كفَّار قريش؛ لإفادة شدَّة اختصاص الفور بهم،

(1) الخنين، النظم القرآني: 106.
(2) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/334.
(3) السَّمين، الدُّرُّ المَصونُ: 3/387.
(4) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/80.

أي: شدَّة اتِّصافهم به، حتَّى صار يعرف بأنَّه فورهم، ومن هذا القبيل قولهم: خرج من فوره[1].

سِرُّ الكناية بالفور على العجلة:

التَّنبيه إلى الفور وتنزيله منزلة المشاهد

فاسم الإشارة ﴿هَذَا﴾ كناية على كونه عاجلًا، فكان ذكره تنبيهًا إلى هذا الفور، ونصًّا عليه، وتنزيلًا له منزلة المشاهد القريب[2].

دلالة اقتران لفظ(الفور) وعطفها على ذكر الصَّبر والتَّقوى:

تحقيق سرعة الإمـــداد مع الفور، وحصوله لا محالة بفور الكفَّار أو دونه

ونظمُ إتيانِهم بسرعة في سلك شرطَي الإمداد المستتبِعَيْن له وجودًا وعدمًا - أعني: الصَّبرَ والتَّقوى - مع تحقق الإمدادِ - لا محالةَ - سواءٌ أسرعوا أم أبطؤوا؛ لتحقيق سرعة الإمداد لا لتحقيق أصلِه، أو لبيانِ تحقُّقِه على أيِّ حال فُرِضَ على أبلغ وجهٍ وآكَدِه بتعليقه بأبعدِ التَّقاديرِ؛ ليُعلم تحقُّقُه على سائرها بالطَّريق الأَوْلى؛ فإنَّ هجومَ الأعداءِ وإتيانَهم بسرعة من مظانِّ عدمِ لُحوق المددِ عادةً، فعُلِّق به تحققُ الإمدادِ إيذانًا بأنَّه حيث تحقَّقَ مع ما ينافيه عادةً، فلأَنْ يتحقَّقَ بدونه أولى وأحرى، كما إذا أردتَ وصفَ درعٍ بغاية الحَصانة، تقول: إن لبستَها، وبارزتَ بها الأعداءَ، فضربوك بأيدٍ شدادٍ وسيوفٍ حِدادٍ؛ لم تتأثَّرْ منها قطعًا[3]، هذا فضلًا عن التَّأكيد الأقصى بأهميَّة الصَّبر والتَّقوى بذكرهما، والنَّصُّ على ضرورة وجودهما حتى يترتَّب عليه النَّصر والمدد، وفي ذلك إشارة إلى توجيه الاهتمام الكامل بتحقيق الشَّرط حتى يتحقَّق المشروط[4].

دلالة إظهار اسم الرَّبِّ مرَّة أخرى مع تكرار ذكر الملائكة وزيادة عددهم:

تأكيد تشريف المؤمنين بحُسن الـنَّـظـر لـهـم والـلُّـطـف بهم وتهدئة روعهم

ففي إظهار اسم الرَّبِّ وإضافته إلى ضمير المخاطبين المتوجَّه إلى المؤمنين، وإسناده إلى المدد الثَّاني، تأكيد الإشعار بحسن النَّظر

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76، والخنين، النظم القرآني: 107.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76.
(3) أبو السُّعودِ، إرْشادُ العَقْلِ السَّليمِ: 2/80.
(4) الخنين، النظم القرآني، ص: 108.

لهم، واللُّطف بهم[1]، كما أنَّ فيه تشريفًا وتكريمًا لهم، وأمَّا زيادة عدد المدد إلى خمسة آلاف، فقد قصد منه تأكيد تهدئة روعهم، وزيادة طمأنة قلوبهم، وسوق عاجل البشرى بنصرهم على عدوِّهم المتكالب عليهم، وإظهار اسم الملائكة مرة أخرى وعدم الاكتفاء بذكرهم في الآية السَّابقة لمزيد الاعتناء بأهمِّيَّتهم، ولكونهم مددًا غير عاديٍّ ولاجارٍ في عرف البشر[2].

الحكمة من تدرُّج ذكر المدد بين سورتي الأنفال وآل عمران:

بيان التَّدرُّج في المـــدد بحسب العدد

حيث ورد في سورة الأنفال ذكر قصة غزوة بدر، وأخبر تعالى فيها عن المدد بألف من الملائكة، فقال: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [الأنفال: 9]، بينما أخبر في سورة آل عمران عن المدد بثلاثة آلاف، ثمَّ الزِّيادة إلى خمسة آلاف، والْأَعْدَاد الْمَذْكُورَة هُنَا مُنَاسِبَةٌ لجَيْشِ الْعَدُوِّ؛ لِأَنَّ جَيْشَ الْعَدُوِّ يَوْمَ بَدْرٍ كَانَ أَلْفًا؛ فَوَعَدَهُمُ اللَّهُ بِمَدَدِ أَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَة، فَلَمَّا خَشُوا أَنْ يَلْحَقَ بِالْعَدُوِّ مَدَدٌ مِنْ كُرْزٍ الْمُحَارِبِيِّ؛ وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ، أَيْ: بِجَيْشٍ لَهُ قَلْبٌ وَمَيْمَنَةٌ وَمَيْسَرَةٌ، كُلُّ رُكْنٍ مِنْهَا أَلْفٌ، وَلَمَّا لَمْ تَنْقَشِعْ خَشْيَتُهُمْ مِنْ إِمْدَادِ الْمُشْرِكِينَ لِأَعْدَائِهِمْ؛ وَعَدَهُمُ اللَّهُ بِخَمْسَةِ آلَافٍ، وَهُوَ جَيْشٌ عَظِيمٌ لَهُ قَلْبٌ وَمَيْمَنَةٌ وَمَيْسَرَةٌ وَمُقَدِّمَةٌ وَسَاقَةٌ، وَذَلِكَ هُوَ الْخَمِيسُ، وَهُوَ أَعْظَمُ تَرْكِيبًا وَجَعَلَ كُلَّ رُكْنٍ مِنْهُ مُسَاوِيًا لِجَيْشِ العدوِّ كلِّه[3].

بيان قـوَّة المدد الملائكيِّ وعدم خُلوص المقاتلين إليه

سِرُّ الكناية عن الشِّدَّة بالتَّسويم:

﴿مُسَوِّمِينَ﴾[4]: مُشْتَقٌّ مِنَ السُّومَةِ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَتُطْلَقُ السُّومَةُ عَلَى عَلَامَةٍ يَجْعَلُهَا الْبَطَلُ لِنَفْسِهِ فِي الْحَرْبِ مِنْ صُوفٍ أَوْ

(1) أَبو حَيّانَ، البَحْرُ المُحيطُ: 3/334، والخنين، النظم القرآني، ص: 105.
(2) الخنين، النظم القرآني، ص: 108.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76 - 77.
(4) وَقد اخْتَلَف القراء في: (مُسَوِّمِيَن) فَقَرَأَ ابْنُ كَثِيْر، والْبَصْرِيَّانِ، وعَاصِمٌ بِكَسرِ الْوَاوِ، وقَرَأَ الْبَاقُونَ بِفَتْحِهَا، ينظر: ابن الجزري، النشر: 2/242.

رِيشٍ مُلَوَّنٍ، يَجْعَلُهَا عَلَى رَأْسِهِ أَوْ عَلَى رَأْسِ فَرَسِهِ، يَرْمُزُ بِهَا إِلَى أَنَّهُ لَا يَتَّقِي أَنْ يَعْرِفَهُ أَعْدَاؤُهُ، فَيُسَدِّدُوا إِلَيْهِ سِهَامَهُمْ، أَوْ يَحْمِلُوا عَلَيْهِ بِسُيُوفِهِمْ، فَهُوَ يَرْمُزُ بِهَا إِلَى أَنَّهُ وَاثِقٌ بِحِمَايَتِهِ نَفْسَهُ بِشَجَاعَتِهِ، وَصِدْقِ لِقَائِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَعْبَأُ بِغَيْرِهِ مِنَ الْعَدُوِّ وَوَصْفُ الْمَلَائِكَةِ بِذَلِكَ كِنَايَةٌ عَلَى كَوْنِهِمْ شِدَادًا[1].

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المدد والإمداد:

أكثر ما يكون المدُّ في الشَّرِّ، وأكثر ما يكون الإمداد في الخير

الإمداد: ما كان على جهة القوَّة والإعانة، يُقال فيه: أَمَدَّهُ إمدادًا، وما كان على جهة الزِّيادة، يُقال: مَدَّه مَدًّا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ﴾ [لقمان: 27][2]، وأكثر ما يكون المَدُّ في الشَّرِّ والإمداد في الخير، يدلُّ عليه قوله تعالى: ﴿وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٥﴾ [البقرة: 15]، وقوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا ٧٩﴾ [مريم: 79]، والإمداد يكون في الخير: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ ٩﴾ [الأنفال: 9]، وقال: ﴿وَأَمۡدَدۡنَٰكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ﴾ [الإسراء: 26][3].

المجيء والإتْيان:

الْإِتْيَانُ: مَجِيءٌ بِسُهُولَةٍ، وَالْمَجِيءُ: كَالْإِتْيَانِ، لَكِنَّ الْمَجِيءَ أَعَمُّ[4]، فَالإتيَان: هُوَ الْأَعَمُّ وَالْأَشْمَلُ، وَهُوَ الْبِدَايَةُ، فَإِذَا اكْتَمَلَ، وَبَلَغَ مَقْصِدَهُ مِنْ مَكَانٍ أَوْ زَمَانٍ أَوْ شَخْصٍ؛ أَصْبَحَ مَجِيئًا، فَالْمَجِيءُ: هُوَ إِتْيَانٌ مُحَقَّقٌ بَعِيدٌ عَنْ عَوَامِلِ النَّقْصِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ﴾ [الأعراف: 129]، فَالإتيَانُ: بِدَايَةُ الْمَجِيءِ زَمَانِيًّا أَوْ مَكَانِيًّا، وَقَدْ لَا يَتِمُّ، فَلَا يَكُونُ مَجِيئًا، أَمَّا الْمَجِيءُ؛ فَهُوَ إِتْيَانٌ مُحَقَّقٌ

الإتْيَانُ مَجِيءٌ بِسُهُولَةٍ، والْمَجِيءُ أَعَمُّ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 4/76.
(2) الرّاغب، المفردات، وابن فارس، مقاييس اللغة: (مد)، والهرري، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 5/108.
(3) الثعلبي، الكشف والبيان: 3/143، والبغويُّ، معالم التنزيل: 1/502.
(4) الرَّاغِبُ، المفردات: (أتى).

قَرِيبٌ زَمَانِيًّا وَمَكَانِيًّا[1]، فَكُلُّ مَجِيءٍ إِتْيَانٌ، ولَيْسَ كُلُّ إِتْيَانٍ مَجِيئًا، أَمَّا فِي بَابِ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ؛ فَمَنْ تَكَلَّمَ عَنْ صِفَةِ الْمَجِيءِ وَالْإِتْيَانِ مِنْ مُحَقِّقِي أَهْلِ السُّنَّةِ[2]؛ يَجْعَلُهُمَا بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَيُسْتَدَلُّ لَهُمَا بِالْأَدِلَّةِ نَفْسِهَا دُونَ تَفْرِيقٍ، فَالْفَرْقُ السَّابِقُ غَيْرُ وَارِدٍ هُنَا فِي بَابِ الصِّفَاتِ، فَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: 158]، كقوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: 22].

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل: (جيأ).

(2) ابن تيمية، مجموع الفتاوى: 5/458، وابن قيم الجوزيَّة، الصواعق المرسلة: 3/1099.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»